

(التعريف والنقد)

ديوان عرقله الكلبي

« حسان بن نير »

تحقيق أحمد الجندي

من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٠ م

الأستاذ إبراهيم صالح

ديوان عرقله منذ أكثر من عشر سنوات خلت ، أتحف الأستاذ الشاعر أحمد الجندي المكتبة العربية بكتابين ابتعثها من مرقدتها بعد طول هجوع ، فاستحق بذلك شكر محبي تراثنا الأصيل وقراءه ، ونشرها ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، كان أولاهما : كتاب « قطب السرور » للريق النديم ١٩٦٩ م ، وثانيها : ديوان « عرقله الكلبي » ١٩٧٠ م .

وعرقله هذا هو حسان بن نير ، كان شاعراً خليعاً مطبوعاً ، من شعراء صلاح الدين الأيوبي ، وللشاعر معه قصة طريفة مفادها : أن صلاح الدين كان وعده إن أخذ الديار المصرية أن يعطيه ألف دينار^(١) ، فلما أخذها أنفذ إليه السلطان عشرين ديناراً^(٢) فخاف عرقله أن تكون « محسوبة من جملة الألف » ؛ فألح في المطالبة بإنجاز الوعد كقوله :^(٣)

(١) الوافي بالوفيات ج ١١ ص ٣٦٤ بتحقيق الدكتور شكري فيصل ، وفوات الوفيات ج ١ ص ٢١٣ بتحقيق الدكتور إحسان عباس .

(٢) الوافي ١١ : ٣٦٧ ، وفي الديوان ص ٦٤ « عشرين ألفاً » وهو غلط .

(٣) السديسان ٤٩ ، والوافي ١١ : ٣٦٤ ، والفوات ١ : ٣١٣ ، وفضاء القلوب للحنبلي ص ٧١ بتحقيق ناظم رشيد .

قلل للمصالح معيني عند إقتصاري

ياألف مولاي أين الألف دينسار ؟ !

فأرسل إليه السلطان « ألفاً وأخذ له من أخوته مثلها ، فجاءه الموت فجأة ولم ينتفع بفجأة الغنى »^(١) .

أبقت لنا الأيام قدراً صالحاً من شعره واحتفظت بنسخة منه مكتبة الامبروزيانا بإيطالية ، ومنها نسخة مصورة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعليها كان اعتماد المحقق .

« بذل المحقق جهداً مشكوراً في التقديم للديوان وفي الشروح والحواشي والفهارس ؛ إلا أن النقص لازال يعتمده^(٢) ، وبعض الروايات في المصادر أعلى وأجود من رواية الأصل ، وقد جانب المحقق الصواب في بعض حواشيه ، فأردت أن أسدّ ثلثة وأرباب صدعاً ، وكلنا يسعى ليقرب من الكمال ، والكمال لله وحده .

أ - الإضافات :

١ - قال عرقلة :

يـالـيـلَ طَـرَّتِـهـِ وَصُـبِحَ جَبِينِـهـِ

أَنْصَرْتَاهُ وَأَنْتَا أَضْـدَادُ ؟

بـل يـاسـنـا بـرـقِ الجـمـال بـشـعـرِـهـِ

كـيـفَ انـخـدـعـتَ فـأـحـدـقـتَ بـكَ صـادُ ؟

أـمـبـلـبـي بـفـتـوـنِ فـتـرةِ طـرـفِـهـِ الـ

نـبَّـالِ حـسـبـي خـدك السـزـرَّادُ

[الوافي بالوفيات ج ١١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦] .

(١) الوافي ١١ : ٣٦٥ ، والفوات ١ : ٣١٣ . وفي الوافي : « بفجعة الغنى » .

(٢) أشار المحقق إلى هذا مراراً ، انظر الديوان ص « ك » من المقدمة . وص ٥٩ و ١١٢ .

٢ - « ومن نكته [عرقلة] البديعة قوله فيه [المنشور الأحمر] :

حاذر أصابع من ظلمت فإنها
تدعو بقلبي في السدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في حجر القضا

إلا « دعاء أصابع المنشور »
[نزهة الأنام في محاسن الشام للبدرى ص ١٤٠ . ط . السلفية ١٣٤١ هـ] .

٣ - « ومن محاسنه [عرقلة] قوله فيه [المنشور الأحمر] :

لما أدعى المنشور أن السورة لا
يأتني وأن يصلى بنسار سعين
وَدَّتْ ثغور الأقحوان لو انتهت
كانت تعضُّ أصابع المنشور »

[نزهة الأنام ص ١٤١]

٤ - ومن لطائفه [عرقلة] قوله فيه [المنشور الأحمر] :

مذ لاحظ المنشور طرف الترجس الـ
مزور قال وقوله لا يدق :
فتح عيونك في سواي فإننا
عنسدي قبالة كل عين إصبع »

[نزهة الأنام ص ١٤٠ - ١٤١]

٥ - وقال [عرقلة] يرثي أبا الحكم :

يساعين سحي بدمع ساكب ودم
على الحكيم الذي يكنى أبسا الحكم

قَسَدَ كَانَ لِرَحْمِ الرَّحْمَنِ شَيْبَتَهُ

وَلَا سَقَى قَبْرَهُ مِنْ صَيْبِ السَّيِّدِيْمِ
 « شَيْخاً يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً
 وَيَسْتَحْسِلُ دَمَ الْحَجَّاجِ فِي الْحَرَمِ »
 [نفع الطيب للمقري ج ٢ ص ٦٢٨ بتحقيق الدكتور إحسان عباس] .

٦ - « وقال عرقلة في المشور الأحر وأجاد :

انظر الو، المنشور ما بيننا وقد كساه الطل قصانا
 كأنما صاغته أيدي الحيا من أحر الياقوت صلبانا
 [نزهة الأنام ص ١٤٠] .

٧ - « وكان العرقلة أعور وكان يجلس على حانوت خياط بدمشق يعرف بأبي
 الحسين الأعرج وكان له طبع في قول الشعر فقال له عرقلة يوماً يداعبه :

أَلَا قَسَلٌ لِلرَّيْبِيِّنِ أَبِي الْحَسَنِ
 أَرَأَيْتَ اللَّهُ عَيْنُكَ مَثَلُ عَيْنِي
 فقال الأعرج مجاباً له :

أَلَا قَسَلٌ لَابْنِ كَلْبٍ لَابْنِ عَجَسَلٍ
 أَرَأَيْتَ اللَّهُ رَجُلُكَ مَثَلُ رَجُلِي «
 [الوافي بالوفيات ١١ : ٣٦٦] .

ب - التخريج والروايات : سأكتفي ببعض الأمثلة ولن أعمد إلى الاستقصاء .

١ - ص ٥١ : القصيدة (مجيز) :

جاء في معجم البلدان ج ٢ ص ١٥٤ - ١٥٥ مادة « جلق » :

« . . . وقال حسان بن غير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكرها ويصف كثيراً من
 نواحيها من قصيدة وأزن بها قصيدة أبي نواس فقال [كذا] :

أجساره بيتينا أبسوك غيور

[وميسور مايرجي لئديه عسير]^(١)

مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها إلى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الحصب حيث قال :

عنى من ديار الظاعنين بشير

ومن جور أيام الفراق مجير

لقد عيل صبري بعدهم وتكاثرت

همومي ولكن المحب صبور

وكم بين أكناف الشغور متيم

كئيب غزته أعين وثغور

[وكم ليلسة بالماطرون قطعتها

ويوم إلى الميطور وهو مطير]^(٢)

سقى الله من سطرًا ومقرا منازلاً

بها للنسدامى نضرة وسروز^(٣)

ولا زال ظل النيريين فبانته

طويل ويوم المرء فيه قصير

ويشأ بردى لازال ماؤك بارداً

ومساء الحيا من ساحتك نير

(١) وهذه القصيدة عارضها ابن دراج القسطلي قبله بقصيدة مطلعها :

دعي عزممات المتضام تير فتجسد في عرض الفلا وتغور

[ديوان ابن دراج ص ٢٩٧ - ٣٠٤ ط . دمشق ١٩٦١ هـ]

(٢) انفراد ياقوت برواية هذا البيت .

(٣) ورد البيت أيضاً بمفرده في معجم البلدان ٣ : ٢٢٠ مادة « سطر » .

أبى العيش إلا بين أكناف جـلـقـق

وقـد لاح قـيـهـا أشـمـسٌ و بـدورٌ

و كم بحـمى جـيرون سـرب جـأـذـر

حـبـالـهـن المـسـالٌ و هو نـفـورٌ ؟

ولكن سـأـحـويـه إذا سـرتُ قـصـاداً

إلى بـلـدٍ فـيـه الصـلـاح أـمـيرٌ

[قلت : هذه رواية ياقوت أوردتها بتأها وفيها زيادة واختلاف عما في الديوان ،

ويستفاد من قوله أن الأبيات جزء من قصيدة ، ولعل الأبيات الأربعة في ص ٥٠

(بجور) منها .]

٢ - ص ٧٥ : البيتان (بلسالي) : هما في وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٤٨ بتحقيق

الدكتور احسان عباس ، وتزعمه العمر في التفضيل بين البيض والسود والسر ص

٠٣ ط . الترقى بدمشق ١٣٤٩ هـ . برواية :

إن كنتَ بـالـأـسـمـرِ الـزـيـتِيّ مـفـتـنـنـاً

قَـلـُ عن الأبيـضِ الفـضـيِّ بـلـبـسـالي

إن كان في الرـمـسـحِ شـبـرٌ قـاتـسـلُ أـبـدأ

فـفي المـهـنـتـسـدِ شـبـرٌ غـيـر قـتـسـالِ

٣ - ص ١٢ : البيت (أيوب) : في الوافي بالوفيات ١١ : ٣٦٦ ، وشفاء القلوب

للحنبلي ص ٧١ . وقال الحنبلي : وما أحسن قول عرقلة وكان أعور ، فله من

قصيد :

أقـسـول والـقـلبُ في هـمّ و تـعـسـديـب

أي كل يـسـوسـف أرحـم نـصـف يعقـسـوب

[أقول : لامعنى لرواية الأصل : . . . ارحم نصف أيوب] .

جـد مـلـاحـظـات على الحواشي : سأكتفي هنا أيضاً ببعض الأمثلة :

١. قال عرقلة : [الديوان ص ٤]

وَأَفَى أَجْنَتَهَا بِكُلِّ مُدَجَّجٍ
فِي رَاحَتِيهِ حَيَّةٌ صَفْرَاءُ
تُرْمِي بَنِيهَا كُلَّمَا حَمَلَتْ بِهِمْ
وَهَلَسَا عَلَيْهِمْ حَنَّةٌ وَبِكَاءُ

قال المحقق في الحاشية تعليقا على البيت الأول : هي الحربة كما نظن .
أقول : بل هي القوس على الحقيقة بدليل البيت الذي يليه ، وهو بهذا ينظر الى
قول الشنفرى :

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا

مُرَزَّاةٌ عَجَلَى تَرْنُ وَتَعْمُورٌ^(١)

وقال أبو حنيفة الدينوري في باب القسي والسهام من كتاب النبات^(٢) : « قالوا :
حَنَّتْ القوسُ تَحْنُ حَنِينًا وهو أحسن أصواتها في لين وامتداد كإرزام الناقة على
ولدها إذ أمدت سجعها وطربت : وبه سميت حَنَانَةٌ فصار أمًا لها علما » .
وفيه ثمة شواهد كثيرة .

٢. ص ٢ ج ١ : قال المحقق : « وماردين بلدة على الحدود التركية مع سورية
وكان اسمها : أمد » .

وقال في ص ٨٠ ج ٢ : وأمد هي ديار بكر اليوم وتقع على حدود تركيا »

ثم قال في ص ١٠٥ ج ٢ : « كان حاكم أمد « ماردين » .

[قلت : احتفظت ماردين باسمها منذ بنائها إلى أيامنا هذه ، وهي من ديار
ربيعة .

(١) البيت ١٢ من لامية العرب . ويروى : تَكَو تَرْنُ

(٢) كتاب النبات ص ٣٢٥ بتحقيق برنهارد لقين ، ط . فيسبادن ١٩٧٤ م .

وأمد من ديار بكر - معجم البلدان ٢ : ٣٩ « ماردین » و ٥ : ٤٩٤ « ديار بكر »
« ديار ربيعة » [.

٣ - ص ٩٢ ج ٢ : قال المحقق : ومتم هو القائل في رثاء أخيه
مالك بن نويرة :

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا «
[قلت : ليس البيت لثم بن نويرة . وهو من قصيدة للقصمة بن عبد الله
القشيري .

يراجع شرح الحماسة للمرزوقي ج ٣ ص ١٣١٧] .

- وفي الختام أقول : بمعارضة مارواه كل من الصفدي في الوافي بالوفيات ، وابن
شاعر في فوات الوفيات ، والخبيلي في شفاء القلوب ، وأبي شامة في الروضتين ،
والعماد في الحريرة . يتبين لنا أن الديوان لا يزال بحاجة إلى نشرة جديدة تراعى
فيه أصول التحقيق العلمي من دقة في التخريج ، وذكر للروايات المختلفة ، مع
إبقاء الأصل على ما كان عليه دون إخضاعه للترتيب الهجائي ، ففهرس القوافي
كفيل بذلك .

دمشق - إبراهيم صالح